فما ظنُّك بزماننا هذا ؟!

في حديثٍ يرويه البخاري والنسائي وأحمد ، يقول فيه المصطفى صلوات الله عليه :

« لا يأتي عليكم عام ، ولا يوم ، إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم » .

ثم يأتي زمان الإمام علي كرم الله وجهه فيتغيَّر الناس ، فيقول :

نحن في زمان لم يبق من أهله إلا حُثالةٌ كحثالة القرظ[1] ، وقراضة كقراضة الجلم[2] .

أما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد كانت تتمثَّل بأبيات للبيد :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم ... وبقيتُ في خلفٍ كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يُرجَّى خيرهم ... ويُعابُ قائلهم وإن لم يُطرب

لكن أبا الدرداء رضي الله عنه عبَّر تعبيراً رائعاً يصف حال أهل زمانه!!

وكان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وقد صاروا شوكاً لا ورق فيه .

ثم يأتي الأحنف بن قيس رحمه الله ت (٧٩ هـ) فيقول :

لم يبق في الناس إلا حاسدٌ نعمة أو شامتٌ بمصيبة .

ثم يأتي الشاعر البستي ، ليقول :

---

(١) القرظ : ورق السّلم يدبغ به ، ويقال : إنه قشر البلوط [مختار الصحاح] .

(٢) قراضة : فضالة ما يقرض الفأر من خز أو ثوب ، والجلم : المقراض الذي يُجزُّ به الشعر والصوف .

لقـــاءُ أكثـــر مـــن زاروك أوزارُ فلا تبالِ أغابوا عنك أو زاروا
لهـم لـديـك إذا جـاؤوك أوطـارُ إذا قضوها تنحّوا عنك أو طاروا
أخـلاقُهـم ـ فتجنبهُـنَّ ـ أَوعـارُ وقـربُهـم مـأثـمٌ للمـرء أو عـارُ
أوضار[1] أفعالهم تعدي معاشرهم فلا يروك فقدماً من رأوا ضاروا

ثم يأتي الطغرائي ت (٥١٣ هـ) ليقول :

أعدى عدوّك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دَخَلِ
وإنمـا رجـل الـدنيـا وواحـدهـا من لا يُعَوِّلُ في الدنيا على رجلِ
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخُلف بين القول والعملِ

هذا كله قبل انقضاء القرن الخامس الهجري ، فما ظنُّكَ بزماننا هذا ؟!

* * *

أفضل العدّة الصبر مع الشدة :

دخلت أعرابية قرية في العراق ، فسمعت صراخاً في دارٍ فقالت : ما هذا ؟ فقيل لها : مات لهم إنسان ، فقالت : ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون ، وبقضائه يتبرَّمون ، وعن ثوابه يرغبون .

وقد ورد على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل العدَّة الصبر مع الشدة .

أما الإمام علي كرم الله وجهه فقد قال : الصبر مطيَّة لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو[2] .

وجاء على لسان حكيم : من صبر ظفر .

---

(١) أوضار : أوساخ وأقذار [المصباح المنير] .
(٢) ينبو : يغدر .